



methqalm@yahoo.com

السيكولوجية الفطرية للخير والشر والقلق الفطري التحسين والتقيح دينياً (المقال الثالث والعشرون - 3)

د. موسى الزعبي - الطب النفسي، سوريا / السعودية

هل الإنسان ذو طبيعة شريرة؟ أم ذو طبيعة خيرة؟ أم ذو طبيعة خيرة وشريرة؟!

أم أنه محكوم بحتمية تاريخية طفولية لا واعية؟ أم حتمية اجتماعية؟ أم أنه مسير ومجبر لقوى كونية؟
أم أنه صاحب إرادة حرة مريدة؟!

وما هو مفهوم الخير والشر والمصائب والأحزان التي يتعرض لها الإنسان؟!

الحقيقة أن هذه المفاهيم شغلت الإنسان منذ وجوده على هذه الأرض، ولا يزال البشر مختلفين في تفسيرها وفق الإطار المرجعي لكل إنسان. هذا الإطار المرجعي يتكوّن مع نهاية الطفولة وبداية البلوغ وفق عقائد وثقافة كل بيئة .

ويسمى هذا الإطار المرجعي بالإنطولوجيا أو الوجود فلسفياً والعقيدة دينياً. فالفلسفة خاضت بتفسير ما وراء الوجود وأصل الكون والحياة وما بعدهم استناداً لتراكم ثقافيّ دون هدى بينما العقائد الدينية السماوية فسرت ذلك تلقياً عن الله من خلال الوحي الوسيطة بين الله والأنبياء، لأن قدرات الإنسان العقلية كبصره وسمعه تتدرك الحقائق لمسافات معينة وبظروف مناسبة وهكذا العقل فإنه مهيبٌ ليدرك الواقع والحقيقة لحدّ معينٍ مدرّكاً عجز الإنسان حتى لا يتأله الإنسان أو يتسفل...

فمفهوم الشر والخير وكيفية التعامل معهم يعد من أعقد القضايا السيكولوجية والابستمولوجية والاكسولوجية فما هو الخير؟ وما هو الشر؟ وما مصدرهم؟ وكيفية مواجهتهم؟ ..! فلا تكاد تمر دقيقة أو ساعة أو يوماً إلا والإنسان تلم به أمورٌ فيها خير وأمرٌ فيها شر ولا يعرف كيفية التعامل معها وبعضها خارج سيطرته ويسأل نفسه هل هو مسيرٌ أم مخيرٌ بذلك؟ ولماذا الآخرين لا يصابون مثله؟!

هل العقل البشري قادر على تمييز الخير من الشر؟ وبمعنى ديني هل هو قادرٌ على التقيح والتحسين وتصنيف ما يتعرض له من قضايا لبناء منظومة فكرية يبني عليها سلوكه إيجاباً أو سلباً بالنسبة له والذي ربما يكون سلباً أو إيجاباً للآخرين؟

وللإجابة على ذلك لا بد من إعادة تعريف النفس و العقل فكرياً ودينياً ..

وبالتالي إعادة تعريف الإنسان وحتى لا نهض كثيراً فمختلف المدارس النفسية الحالية كانت رؤيتها نسخة عن الفلسفة التي سادت العصور القديمة والحديثة مروراً بالعصر الوسيط وذلك باعتبار الإنسان أم ذو طبيعة شريرة مطلقة حسب البعض وأن الحياة تقام على الصراع والحروب والتنافس والإنسان محكومٌ

هل الإنسان ذو طبيعة شريرة؟
أم ذو طبيعة خيرة؟ أم ذو
طبيعة خيرة وشريرة؟!
أم أنه محكوم بحتمية تاريخية
طفولية لا واعية؟ أم حتمية
اجتماعية؟ أم أنه مسير ومجبر
لقوى كونية؟ أم أنه صاحب
إرادة حرة مريدة؟!

ما هو مفهوم الخير والشر
والمصائب والأحزان التي يتعرض
لها الإنسان؟!

يسمى هذا الإطار المرجعي
بالإنطولوجيا أو الوجود فلسفياً
والعقيدة دينياً

العقائد الدينية السماوية فسرت
ذلك تلقياً عن الله من خلال
الوحي الوسيطة بين الله والأنبياء

مفهوم الشر والخير وكيفية
التعامل معهم يعد من أعقد
القضايا السيكولوجية
والابستمولوجية والاكسولوجية

هل العقل البشري قادر على
تمييز الخير من الشر؟ وبمعنى
ديني هل هو قادرٌ على التقيح
والتحسين وتصنيف ما يتعرض
له من قضايا لبناء منظومة
فكرية يبني عليها سلوكه إيجاباً
أو سلباً بالنسبة له والذي ربما
يكون سلباً أو إيجاباً للآخرين؟

بلا وعيٍ شرير باستثناء علم النفس الإيجابي الذي تأثر بمدارس فلسفيةٍ أخرى يكون الإنسان ذو طبيعة خيرة..

وما يهمننا هنا السيكولوجية الفطرية لمفهوم العقل والخير والشر فالنص الديني صريح بأن الإنسان مهيبٌ نفسياً ووراثياً لعمل الخير والشر من خلال غرائز متنوعة لديه ولكن لديه إرادة حرة لفعلهما وليس جبري باستثناء الأمور الكونية الخارج عن طاقته وهنا يلعب مفهوم القضاء والقدر دورها بالعلاج النفسي إذا فهم الإنسان ذلك...فنفسه مجبولة على الفجور والتقوى والتزكية تكون بالتخلق بالفطرة مقابل عدم الإسراف بالغرائز الترابية الحيوانية فالنفس البشرية تتكون من ثلاثة مجموعات من الغرائز المجموعة الأولى: هي الغرائز الترابية أو الحيوانية والذي يؤدي الإسراف فيها إلى الفجور والشر

المجموعة الثانية: وهي الغرائز الفطرية مركز المحاكمة القيمة والتي يؤدي الخضوع لها لعمل الخير أما المجموعة الثالثة: فهي الغرائز العقلية وهي مركز المحاكمة المعرفية و الإرادة الحرة ويسمى كتداولٍ فلسفي العقل المجرّد .

التفاعل بين هذه المجموعات الثلاثة ينتج إطاراً مرجعياً للشخص يسيّر سلوكه ويحكم على الأمور بقبحها وحسنها وشرها وخيرها، وإذا كانت الهيمنة على الإطار المرجعي للغرائز الفطرية والعقلية فإن الإنسان قادرٌ بمفرده على التحسين والتقيح ولكن الشرع يزيد سعة العقل لديه باتساع دائرة التحسين والتقيح كون حياة الإنسان قصيرة ولا يستطيع الإحاطة بكل شيء علمًا ليعرف خيرها من شرها والشرع متوافقاً ومؤيداً أو موسعاً لذلك .

بينما هيمنة الغرائز الترابية أو بعضها على الإطار المرجعي يؤدي لتشوه بمفهوم التقبيح والتحسين حيث يتم تثبيط عمل الغرائز الفطرية و العقلية على حساب هيمنة الحيوانية مما يؤدي لخللٍ بالحكم وهذا ما يعاني منه الغرب اليوم لمحاولة عولمة الإدمان والشذوذ وغيرهم لأن الخلل أصاب الميزان العقلي... والحديث الشريف (استقت قلبك ولو أفتوك الناس) خاص وليس عام فالسائل كان معروفاً بالبحث ليل نهار عن العلم والتخلق بمكارم الأخلاق لذلك أنتج عقلاً فطرياً يستطيع التمييز والتحسين والتقيح وليس كشواذ اليوم ليستفتوا نفوسهم وقد ملأها العطب والتشويه !!

أما مفهوم الشر فلا يوجد شر مطلق فالحياة ليست ذو بعد واحد بل لها أبعاد ثلاثة ،بعد مادي محسوس وبعد غير محسوس وبعد أخروي بعد الموت وبالتالي وقوع أي حدث يفسر من خلال هذه السياقات الثلاثة فربما يكون شر مادي محسوس ولكن بحقيقته هو خير غير محسوس أو مؤجل أخروي فالبعد الفطري لحقيقة الإنسان يعالج أي قضية من خلال هذه الأبعاد ولسنا مجبرين على استجلاب آليات خداع نفسية تلفيقية لتفسير كل شيء ببعده المادي المحسوس الذي أثبت عجزه وفشله فإلخسارة المادية أو خسارة الأقراب أو خسارة المنصب والصحة هذه الأمور تعتبر بمنظور المدارس النفسية المختلفة مصائب وشرور وعلى الانسان مواجهة قدره بآليات معرفية بينما التفسير الفطري يتبع سبيلاً آخر وهو التمتع بالتجارب والسلوكيات بالإطار المرجعي الفطري للإنسان وإعادة بنائه بشكل صحيح حتى يصبح الانسان أكثر تمنيعاً نفسياً لمواجهة مصائب الحياة فربما تأخرت عن طيارتك فحسبته شراً فاذا بها تهوي

مختلطة المدارس النفسية الحالية كأنتم رؤيتها نسخة عن الفلسفة التي سادت العصور القديمة والحديثة مروراً بالعصر الوسيط وذلك باعتبار الإنسان أم ذو طبيعة شريرة مطلقة حسب البعض وأن الحياة تقام على الصراع والحروب والتنافس والإنسان محكومة بلا وعيٍ شرير

النص الديني صريح بأن الإنسان مهيبٌ نفسياً ووراثياً لعمل الخير والشر من خلال غرائز متنوعة لديه ولكن لديه إرادة حرة لفعلهما وليس جبري باستثناء الأمور الكونية الخارج عن طاقته

هنا يلعب مفهوم القضاء والقدر دورها بالعلاج النفسي، إذا فهم الإنسان ذلك ...

نفسه مجبولة على الفجور والتقوى والتزكية تكون بالتخلق بالفطرة مقابل عدم الإسراف بالغرائز الترابية الحيوانية

النفس البشرية تتكون من ثلاثة مجموعات من الغرائز المجموعة الأولى: هي الغرائز الترابية أو الحيوانية والذي يؤدي الإسراف فيها إلى الفجور والشر

المجموعة الثالثة: فهي الغرائز العقلية وهي مركز المحاكمة المعرفية و الإرادة الحرة ويسمى كتداولٍ فلسفي العقل المجرّد

التفاعل بين هذه المجموعات الثلاثة ينتج إطاراً مرجعياً للشخص يسيّر سلوكه ويحكم على الأمور بقبحها وحسنها وشرها وخيرها

إذا كانت الهيمنة على الإطار المرجعي للغرائز الفطرية والعقلية فإن الإنسان قادرٌ بمفرده على التحسين والتقيح

بالمحيط! وربما فقدت منصبك فعوضت مستقبلاً خيراً منه! وربما فقدت ولدك فعرفت أن الله يجبي لك خيراً من ذلك بالمستقبل الغير محسوس أو العالم الأخرى أو ربما يكون مهيمناً على نفسك وفكرك وسلوكك الغرائز الترابية التي أغلقت جميع نوافذ الفطرة حتى تكسبت فتأتي المصائب لتكسر وتفتح تلك النوافذ حتى تعيد توازنك النفسي وتشعر بالسعادة الحقيقية مجدداً وثائية الحياة وهكذا...

فلا شر مطلق في هذه الحياة فكله بتقدير والعقل الفطري قادر على التقبيح والتحسين وتمييز الخير والشر والشرع يزيد دائرة العقل بذلك فيصبح العقل الفطري المتخلق سلوكياً بالقيم الفطرية أكثر سعة ورحابة صدر وإنتاجية وتحمل وصلابة لمواجهة مصائب الحياة التي تزيده تمنيعاً وقوة عكس العقل المجرد أو الترابي الذي لا يمتلك غير البعد المادي بالتعامل مع المصائب والتي غالباً تهزمه وتصيبهم بالكآبة والقلق...

ختاماً فإن الإنسان مفطور من خلال غرائزه المتنوعة على معرفة الحسن والقبیح والخير والشر بمعظم نواحي الحياة والشرع يزيد ذلك ويحكم مذكراً الإنسان بحقيقته الفطرية ولا يمكن أن يحصل التناقض بين الاثنين إلا بحالة الخلل بالتكوير النفسي بعيداً عن الفطرة لأن الخلل النفسي والحكم العقلي يصبحان أكثر انحرافاً وشذوذاً وبالتالي اضطرابات نفسية متنوعة في مقدمتها اضطرابات الشخصية والمشاكل الاجتماعية والأسرية وغياب الأمن المجتمعي وحدث الصراعات والحروب وتفكك المجتمعات والدول..

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Documents/Doc.Zoobi.Instinct&LangPsy13.pdf>

*** **

شبكة العلوم النفسية العربية

نحن تعاون عربي رقياً بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsyfound.com>

الكتاب السنوي 2022 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار الحادي عشر)

الشبكة تدخل عامها 22 من التأسيس و 19 على الويب

22 عاماً من الكد... 19 عاماً من المنجزات

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>

الكتاب الذهبي لشبكة العلوم النفسية العربية للعام 2022 (الفصل السابع: من الكتاب السنوي للشبكة)

التحميل من الموقع العلمي

<http://arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynetGoldBook.pdf>

اشتراكات العضوية بموسسة العلوم النفسية العربية للعام 2022

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3

الشرع يزيد سعة العقل لديه باتساع دائرة التحسين والتقبيح كون حياة الإنسان قصيرة ولا يستطيع الإحاطة بكل شيء، ملماً ليعرفه خيرها من شرها والشرع متوافقاً ومؤيداً أو موسعاً لذلك

هيمنة الغرائز الترابية أو بعضها

على الإطار المرجعي يؤدي

لتشوه بمفهوم التقبيح والتحسين

حيث يتم تثبيط عمل الغرائز

الفطرية و العقلية على حساب

هيمنة الحيوانية مما يؤدي لخلل

بالحكم

هذا ما يعاني منه الغرب اليوم لمحاولة تحويله الإدمان والشذوذ وغيرهم لأن الخلل أصاب الميزان العقلي...